الصاحب ابن عباد * اهذا خط قابوس * ام جناح الطاووس * او كما قال ابو الطيب * من خط في قلب مهوة
حتى كان مداده الاهواء * وانا اقول ما هو بديع فابدع * وفي هذا الباب انفع واجمع بل هو خط الامام نور الزمان
والبراءة من طوارق الحدثان * والحرز الحريز والكلام الحر الحرير * والجوهر هو النفيس العزيز واما الكتاب
نفسه فقد حسدني عليه اخواني واستبشر به اهلي وخلاني * وكان تقبيلي لاماليه * اكثر من نظري فيه
شوقا الى تقبيل يد وشته وحسنته * واعتبارا لانعم الانامل حسنته ومسته واما البراعة فلا شك
انها ينبوع البراعة حتى جرى من بحر البلاغة منها ما جرى فجاء الكتاب كسحر العيون بمارح بسحر
عقول الورى وينادي باحر اخجل سحر البيان من الثرى الى الثريا ولم ار كتابا قبل تكون محاسنه
متداخلة مترادفة * ولطايفه وبدايعه متضاعفة متواصفة * وذلك لانه سرد من عزد درر الا
حاسن ودرر على يد راس احبابنا تاج بني محاسن اولئك قوم احرزوا الحسن كله فمنهم الانثى قات
والحسن * وكما قلت فيهم ايضا * فبنو المحاسن جيننا * كبني النجم في النجابه * فهم القرابة اذ علمت
من الانام هو القرابة فيهم محاسن جمة منها الخطابة والكتابة ثم لم يكتف سيدي وشيخي بما انعم
به واحسن بكتبه * من كتابه المزين بخط البين بضبطه * المسمى بين اهل الوفا بكتاب الاصفيا
في بديع الاكتفا كانه لم يرض طبعه الشريف المفرد للاستثنى الا ان يكون حسناته لدى احبابه مثنى مثنى
حتى كان مراده بتضعيف هذا الاكرام والاحسان تعجيز العبد عن اداء خدمته لحمد بحصر البيان و
عقد اللسان اذ لست ذا لسانين حتى اودي شكر احسانين وغاية البلوغ في هذا المضمار الخطير
ان يعترف بالقصور ويلتزم بالتقصير * ومن فصول هذا الكتاب ما ذكرته ومن باب ادخال
السرور على سيدي وشيخي وبركتي المدرسة الداخلية التي تصدى لها ذلك المولى العظيم والسيد
الحكيم صدر الموالي ورونق الايام والليالي سيدي وسندي وعمادي ومعتمدي العلامة شيخي
افندي المعروف بالعلامة حفظه الله ووقاه وابقاه الذي صدق عليه وعلى قول الاول * *
وما صديق ما مسني عدم * مذ وقعت عينه على عدمي * اغنى واقنى فما يكلفني * تقبيل كف له ولا قدم
قام بامري لما قعدت به * ونمت عن حاجتي ولم ينم * وقول الثاني * صديق لي له ادب *
صداقة مثله نسب * رعى لي فوق ما يرعى * واوجب فوق ما يجب * فلو نقد بخلائقه
بهرج عندها الذهب ولعمر الله كذلك قد تصدى لحاجتي فقضاها وتحرى فامضاها
ولم يكن لي في الروم سواه وسواها وما اصنع بالروم اذا تخلف عني ما ارومه الى الله
الان يتعين ذلك الحر الكريم بتهنيه واحمد وان يكون بيانا في ذنبا في مرتبطة بحمده وشكره
وهذه حاجتي ونفسي قضيتها وامنيته رضيت بها وارضيتها ولله الحمد ولست احصي ولا
استقصي يا سيدي ومولاي شوق اخيكم سيدي ومولاي المفتي العمادي حفظه الله
تعالى واياكم وقد بلغ شوقه وغرامه وتعطشه واوامه اذا فرد الجناب مولانا كتابا يستجلب
منها جوابا اذا الشام كما اتم عبارة من وجوده الشريف واستقدم وكذلك اولاده الكرام
تلامذتكم يقبلون الاقدام واما محبكم وصديقكم الشيخ البركة شيخ الاسلام مولانا عمر القاري
فقد بلغته سلام سيدي فكان جوابه الدعا والثنا مع العزيمة على بان ابالغ لجنابكم
الكريم في تادية سلامه وتبليغ ما يتضمنه من المحبة الخالصة فصح كلامه واما الكريما
ولدكم محمد افندي واخوه سيدي كمال الدين فهما لتقبيل اقدامكم من المستعدين
وكذلك لا احصي ما هما عليه من الثنا والدعا للجناب الكريم العالي تلميذاكم بل عبداكم ولدنا
الشيخ يحيى بن سيدي ابي السعود ولدنا الشيخ محمد بن سيدي تاج الدين المحاسنيان
فاما عبداكم وتلميذاكم ولداي الشيخان الداعيان الشيخ عبد السلام والقاضي نعمان فليس
لهما وظيفة الا الدعا والثنا في كل صبح ومسا لان كلا منهما خليفتي والاستمداد بدعا سيدي
وظيفتي ولا يقنعان بتقبيل اليدين الكريمتين ولابد من تقبيل الباركتين وبعد فلا ينقضي عجبي من بلاغة
كتابكم الشريف الوارد لجناب اخيكم المفتي العمادي حفظكم الله واياه ولا كان من ينساك وينساه وتعجبه
به تعظم واكبر الدهر حفظه الله بفهم كلام سيدي احق واجدر فلا عدمنا تلك الانفاس المكية
الفلكية من كل منكما الذهبي والله البغية والامنية كما قلت * ليس فخري ولا اعتدادي بدهر *
غير دهر اكما من بنيه * اللهم اختم هذا الكلام للقبول التام بالصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين ومن فصول هذا الكتاب ما صورته اطال الله يا سيدي بقاك ولا كان
من يكره لقاك ورعاك بعين عنايته ووقاك والهمك وابقاك وضمن لك جزاء الصبر
وعوضك عن مصايب الخير والاجر ولقد كنت على ان اجعل في مصاب سيدي
بابنه متعه الله بعمره وعلمه ودفع عنه سوء ضره وغمه قصيدة تكون مرثية تشفي
تعزية وتسلية فنظرت في مرثية ابي الطيب المتنبي لامه واكتفيت بنظمها ونثرها وعقد هاتيك ابياتا انتخبت
قوله منها * لك الله من مفجوع بحبيبها * قتيلة شوق غير ملحقها وصما * ولو لم تكوني بنت اكرم والد * لكان اباك الضخم كونك لي اما
لئن لذ يوم الشامتين بيومها * لقد ولدت مني لانفهم رغما * فعند هذا حال مولانا الراغم لانوف الاعداء المجدد
لاسلافه حمدا ومجدا * القاتل بشوقه الاخطاء والاعداء * ثم ما رايت في مرثية اخت سيف الدولة
ان يكن صبر ذي الرزية فضلا * تكن الافضل الاعز الاجلا * انت يا فوق ان تعزى عن الاحباب

فوق الذي

فوق الذي يعزيك عقلا * وبالفاظك اهتدى فاذا عزاك * قال الذي له قلت قبلا
قد بلوت الخطوب حلوا ومرا * وسلكت الايام حزنا وسهلا * وقتلت الزمان علما فما يغرب
قولا ولا يجدد فعلا * قلت هذه واستحلى مولانا الاستاذ الذي عرف للزمان فعله
وقوله * قد استعارها ابو الطيب وحلى بها مخدومه سيف الدولة * وكيف استطيع ارشاد شيخي لطريق الصبر
والتذكير بالثواب والاجر * وكيف وانا الذي استقيت من ديمه * واهتديت الى سبيل المعروف بشيمه * وسلكت
جادة البراعة بهداية الفاظه * وارتقيت الى سماء البلاغة برعاية الحاظه * وهل يكون التلميذ معلما * وهل
يرشد الفرخ نشعما * وكيف يعضد الشبل الاسد * وهو ضعيف المنة والمدد * ومن يعلم الثغر الابتسام *
والصدق الالتزام * ويخبر الحسام * وهو يجرب صمصام * وهل تفتقر الشمس في الهداية الى مصباح * وهل يحتاج
البدر في سراه الى دلالة الصباح * وذلك مثل شيخي وسل من يرشده الى فلاح او نجاح * وانا ناخذ عنه ما ورد
في ذلك من الكتاب والسنة * ويحذو حذوه في الطريق الموصلة الى الجنة * ثم عاوضت في هذه القصيدة
الى قول ابي الطيب * ان خير الدموع عينا لدمع * بعثته رعاية فاستهلا * رايته قد ابدع فيه كل الابداع
ونظم ما يكاد يجري الدمع من طريق السماع * فقلت انا لله واكثرت الاسترجاع * وقلت في نفسي ان ذلك الدمع
الذي بعثته رعاية الحقوق * هو دمع شيخي الذي حمى الله قلبه الشفوق من العقوق * للمصيبة في الام التي حزنها
يعم * ومصابها يعم * وكيف لا يعمنا مصابها * وقد كمل للمصيبة كفاها بموتها نصابها * هذا مع الفقد للسليلة
الجليلة * والكريمة الخليلة * واي دمع لم تبعثه تلك الرعاية * واي نفس لا تتمنى ان تكون لسيدنا من كل ما
يكره وقاية * واي كبد قاسية * لم تكن لاحبابها مواسية * واني يتسنى للعبد المعني تسلية شيخي وهو
الصبور الشكور * والعارف بالامور * العالم بتصاريف الدهور * وما ظننت ان بناني تساعدني على
تحرير ما ينبغي * لتعزية شيخي حفظه الله تعالى في اصله وفرعه * وفرعه وزرعه * وعرقه ونبعته * وامره ونهيه
اما الوالدة الماجدة فاني اسكت عن بيان كرم اصلها * يسمو بها كرم فرعها ونسلها * فرحم الله سلفها وابقى
خلفها * ولا حرم سيدي ثمرة رضاها * ورضي الله عنها وارضاها * واما المخدرة الصغيرة فالمصيبة فيها
كبيرة * اذ العمومة مقربة * والخؤولة وفائية * نمى ذات النجارين * وحايزة الفخارين * كان سيدي
اعزه الله تعالى لم يرض لها كفوا ومهرا * فاختار القبر ان يكون لها صهرا * وخطبة الحمام لا يمكن ردها *
وسطوة الايام لا يستطاع صدها * كما قال ابو الطيب ايضا * * خطبة الحمام ليس لها رد *
وان كانت المسماة ثكلا * واذا لم تجد من الناس كفوا * ذات خدر ارادت الموت بعلا
اسال الله تعالى ان تكون هذه الخطبة نافية الخطوب * وهذا الذنب المبرح اخر الذنوب * وان يعوض
سيدي عن حبيبه المبرقع المقنع حبيبا معمما تتحرى النجابة منه المصنع * وان يبدله عن ذات الخمار والخضاب
بمن يصول بالحراب * ويسطو باليراع ويشتغل بالكتاب * وما التانيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال
اللهم يا ارحم الراحمين اني اتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين ان تاخذ
بيد عبدك شيخي المفتري في كل وقت وحين آمين * ومن فصول هذا الكتاب ما صورته
ولما وصلني سيدي بهديته التي لحسن بها من كتاب الاكتفا داخل طي الصفا * ونشطت الى نظم بيتين
فيهما التزام عجيب ولم ارسله وهو ان يكون اللفظ المكتفى به يعني اللفظ المكتفى منه فان الاحتفا والاحتفا ل
يعني الاعتنا كما افاده شيخي فيكون على هذا الاكتفا وعدمه على حد سوا اذ لو قطع النظر عن لفظ الاحتفال
لا يغني عنه لفظ الاحتفا لم تتميز النوع فيهما * وهما * ان احتفال المرء بالمرء لا * احبة الا مرا لا اكتفا
بالقاء الناس مذمومة * فاسلك سبيل القصد في الاحتفا * ولهذا انقطع الثلج ايام الخريف وكانت
الحاجة اليه شديدة بعد غيبة سيدي حفظه الله تعالى عن دمشق فتذكرت شغف شيخي به فزاد على نقده
غرامي وفاض عليه تعطشي واوامي فجملت في ذلك عدة مقاطيع واحببت عرضها على سيدي اولها *
كانها ثلج يا ثلج يا اعظم الصفات * انت عندي من اعظم الحسنات * ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض بدا بوجه الحياة *
كانها فقلت كما قيل عني رشدي * وما رايت الثلج يوما عندي * لا انقطع اللهم عن ذا العبد * اعظم اسباب الثنا والحمد *
ثلج يا ثلج انت ماء الحياة * مثل من قال عن ذاك لهاتي * ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض قد لاح في المرآة
فقد ابي الناس وجههم في المرايا * وانا فيك نحت وجرحياتي * وما علمت سيدي هذا التعليل الا لانه قد نسيم
دمشق الذي خلفه سيدي حفظه الله عليلا * وهو على الصحة غير عليل ولم يشف عزه الله منه الغليل *
ولسيدي الدعا بطول البقا والارتقا * وهذه ابيات احدثها العبد في وصف القهوة * طالبا من سيدي
ان يغفر خطاءه فيها وسهوه * وقهوة كالعنبر السحيق * صل سوداء مثل مقلة المعشوق
انت كمسك فاح فتيق * شبهتها في الطعم بالرحيق * تدني الصديق من هوى الصديق
وتربط الود مع الرفيق * فلا عدمت مزجها بريقي * وما زلت الهج با فاديه ب
شيخي من اماليه * والتصحيح الدهر الذي جمعته عنه من اسافله الى عاليه * واستشكل على الاحباب والاصحاب
في اثناء المسامرة * ما افادنيه سيدي من تسمية المرحوم القاضي التنوخي كتابه نشوار المحاضرة حتى
ظفرت باصلها في القاموس في مادة نشر * فاذا هي عربية محضة فانه قال ونشوت الدابة نشوارا
لنها ابقت من علفها * ولقد تعجبت من بلاغة هذه التسمية وعذوبتها وحسن المجاز فيها مع سلاستها وسهو
واحببت عرضها على شيخي حفظه الله تعالى ليفرح لي بين تلامذته * كما فرح طبعي به حفظه الله بين
اساتذته * وليعلم اني لم انس ما افادنيه خلال المحاورة * ايام المؤانسة والمجاورة * نوالله انه سهري